أكد أن سمو الإسلام وعلو حضارته أفضل وسيلة للرد على المشككين

القصار: على العلماء والمصلحين والدعاة إبراز جمال الحضارة الإسلامية

أكد د.عبدالعزيز القصار ان أفضل وسيلة للرد على من يشكك في تعاليم الإسلام هو إبراز سمو الإسلام وعلو حضارته، فالإسلام عنوان الحضارة وليس بعده دين وليس وراءه حقيقة دينية مجهولة او طريق، وبيّن ان هناك طرقا شتى في اثارة الفتن والريب والقاء الشبهات والأكاذيب حول الإسلام وان واجب العلماء والمصلحين بذل ما في وسعهم لبيان سمو الإسلام حتى يبطل زيف المخادعين، وأكد ان الإسلام جاء ليمنع ويرد مفاسد اهدار القيم الروحية التي تسبب تدهور المثل والأخلاق، مشيرا الى ان اقامة العدل والحق ركيزة أساسية للقضاء على التعسف والظلم، وتناول د.القصار نقاطا عديدة تهم كل من يريد ان يتعرف على الإسلام، وإلى نص الحوار:

د.عبدالعزيز القصار

الإسلام إصلاح شامل وصيحة عالية مدوية تدعو إلى تآلف الشعوب وتقارب الأمم وتوحيد العالم نحو العقيدة الصحيحة

إقامة العدل ركيزة أساسية رسّخها الإسلام حتى تصان الدماء وتحفظ الأعراض وتحمى الأموال للمسلم والكافر

دين الإخاء والسماحة والسلام لا دين التقتيل والتشريد والحرب لا يهدر دم إنسان أو مال إلا بالحق

حاجة ماسة

ما حاجة الإنسان إلى الأديان؟

● حاجة الإنسان الى الدين ماسة وملحة فلا غنى للإنسان عن دين يرشده لما ينير بصيرته وينوّر قلبه ويزيل الران من على عقله وفكره ويستنهض همته نحو الخير والحق ويحدد له المثل الأعلى حتى لا يضل عن الصواب والهدف المحدد او يبتعد عن جادة الصواب، ولا يوجد دين من الأديان او نظرية وضعية استهدفت هذه المقاصد لتصل بالإنسان لأعلى مراتب السمو الروحي والجسدي والفكري غير الإسلام الذي أكمله الله تعالى وأتم به النعمة على البشرية جمعاء، ورضيه للناس جميعا من عرب وعجم وأسود وأبيض.

كلمة فاصلة

ما فضل الإسلام على باقي الأديان؟

● الإسلام هو الكلمة الفاصلة والأخيرة، فليس بعده دين، فهو المنهاج الذي لا غنى عنه للإنسان في تربية وتهذيب روحه ونفسه، كما لا تستغني عنه الجماعة في سيرها نحو التقدم والرقي في سبيل ارساء قواعد المدينة الفاضلة، ولقد غاظ ذلك السمو كثيرا من الأعداء المتربصين به فشنوا حربا ضروسا شعواء عليه.

إثارة الفتن

وما أشكال الحرب ضد الإسلام؟

● اتخذت هذه الحرب طرقا شتى وألوانا مختلفة وأساليب عدة، ومن تلك الأساليب اثارة الفتن والريب، وإلقاء الشبهات والأكاذيب حول الإسلام والمبادئ الإسلامية نفسها، ومنها الإشادة بحضارة الغرب وما وصلت اليه من تقدم ورفاهية بالمقارنة مع وضع المسلمين اليوم من تراجع وبدأت هذه الحرب تكشر عن أنيابها، وتعلن صراحة أمام الملأ على مرمى ومسمع وفي الفضائيات وقنوات التلفزة المختلفة فكان للموقف السلبي الذي يقفه المسلمون من هذه الهجمة الشرسة من الأثر الكبير في زعزعة العشائر، وزلزلة الأفكار والتمايل بين الخير والشر وبلبلة المفاهيم.

دور العلماء

كيف نواجه الحرب ضد الإسلام؟

● يقتضي من العلماء والمصلحين والدعاة أن يبذلوا كل ما في وسعهم لبيان سمو الإسلام، وإبراز جمال الحضارة الإسلامية حتى يبطل زيف المخادعين، وتتجلى الصورة الحقة، والحقيقة الواضحة النقية أمام من يريد الحق ويعرف سبيل الرشاد ويبتغي ان يحقق انسانيته.

ما الذي يميز الإسلام عن الأديان الأخرى؟

● الإسلام دين الخضوع لرب العالمين وهو مجموعة من التعاليم التي أوحاها الله تعالى الى سيدنا محمد ﷺ، وهي الوصايا والتعاليم العامة التي جاء بها الأنبياء من قبل، يقول الله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)، فالإسلام ليس بجديد على الناس ودعوة سيدنا محمد ﷺ ليست بدعة من البدع وانما الإسلام هو المنهج الذي ارتضاه الله تعالى للناس جميعا، قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام) فالإسلام جاء ليعيد لتعاليم الله نقاءها وصفاءها، وليخلص الدين مما شابه وعلق به من آثار التحريف ورواسب المدعين، فالإسلام إصلاح شامل وصيحة عالمية مدوية الى تآلف الشعوب وتقارب الأمم، وتوحيد العالم نحو العقيدة الصحيحة والمبادئ القويمة ليعيش الناس في سلام ومحبة وتعاون وطمأنينة حتى يرتقي المجتمع بأسره الى المستوى الرفيع الراقي الذي يطمح اليه كل الناس، هذا هو الإسلام وليس كما يدعي المغرضون والحاقدون ان الإسلام دين الإرهاب، فالإسلام هو الذي يفجر في نفس الإنسان مشاعر العطف والشفقة والرحمة والتواضع ويميت القسوة والغلظة، قال رسول الله ﷺ «لا يرحم الله من لا يرحم الناس ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» والإسلام هو الذي يدفع الإنسان الى العمل الإنساني ويبعده عن كل ما من شأنه ان يعوق النشاط التكافلي التعاوني.

خطوط واضحة

ما رسالة الإسلام؟

● جاء الإسلام ليمنع ويرد مفاسد إهدار القيم الروحية التي تسبب تدهور المثل والقيم والأخلاق، ومفاسد إصدار القيم الإنسانية التي تسبب احتقار الإنسان والنزول به لمرتبة الحيوان، فجاء الإسلام ومنع ذلك كله ليبني حضارة راقية ومدنية متكاملة تنسجم مع رقي الإنسان الفكري والعقلي والأخلاقي، فدعا الى الإصلاح في الأرض وعمارتها ونهى عن الفساد في الأرض وتدميرها، قال تعالى: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الفساد) أبعد هذا يقال عن الإسلام انه دين عنف يهدف الى الهيمنة ثم التدمير؟

العدل

وما أهم الركائز التي ترونها؟

● إقامة العدل والحق ركيزة أساسية للإسلام، والقضاء على التعسف والظلم مبدأ راسخ في الإسلام حتى تصان الدماء وتحفظ الأعراض وتحمى الأموال لأي كائن سواء كان مسلما أم كافرا، قال تعالى: (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) والعدل الذي أمر به الإسلام هو العدل الكامل الذي لا يحابي قريبا أو صديقا لقرابته وصداقته ولا يظلم عدوا لعدوانه، قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) وقال (ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى) ولذلك فإن هدف الإسلام هو إسعاد الإنسان عن طريق توفير الرخاء والرفاهية والصحة والعافية وسكينة النفس وطمأنينة القلب وتحقيق المساواة بين أفراد المجتمع.

دين الحرية

يدعي أعداء الإسلام انه دين ضعف لا سماحة فما ردكم على ذلك؟

● لقد جاءت رسالة الإسلام والدعوة اليه والتبليغ به لا لكي يأمر بقتل الكفار إذا لم يستجيبوا وإذا لم يدفعوا الجزية، بل جاء الإسلام لكي يحرر النفس الإنسانية من ذل الخضوع وعبودية السيطرة، ويحررها من الخوف والقلق والاضطراب ويحررها من عبودية القيم المنحرفة الخادعة ويحررها من الهوى واتباع الشهوات والملذات الدنيئة، وأحاط هذه الدعوة وهذه الرسالة بسياج الأخوة ورباط الإخاء.

فاهتم الاسلام بالمجتمع ووضع الاسس الثابتة التي يقوم عليها بنيانه، والخطوط الواضحة التي تصون كيانه، وتحفظه من التصدع والوهن، هكذا جاء الإسلام دين الإخاء والسماحة والسلام لا دين التقتيل والتشريد، وهذه الأخوة تكتسب بمجرد الدخول في دين الإسلام، فالكل ينتظم في مسلك هذا الإخاء الديني بمجرد الدخول في الدين.

دين التعارف

ما الفرق بين دعوة الإسلام وما تدعو به الحضارات المدنية؟

● الإسلام ليس حضارة مادية فإن من طبيعة الحضارة المادية التنكر للحق والاستهانة بالقيم في سبيل تحقيق غاياتها وأهدافها.

ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث في الجزائر من حرب الإبادة وما حدث ويحدث في جنوب أفريقيا من التمييز العنصري وغيرها من الأمثلة ولهذا فقد انتبه الإسلام لهذه النزعة المادية فاستبدل به الروح الإسلامية السمحاء الرحيمة فنادى من أول يوم ان الناس جميعا سواء في أصل النشأة قال تعالى: (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) فجعل الله الناس شعوبا وقبائل ليتعارفوا ويتآلفوا ويتصادقوا لا ليتناكروا ويختلفوا ويتقاتلوا، فالإسلام دين التعارف لا دين التقتيل والإرهاب والعنف قال تعالى: (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) فخيرات الأرض وموادها حق لكل إنسان ان ينتفع بها فالله تعالى لم يحلها لقوم ويحرمها على آخرين إنما سخرها للأسرة البشرية جميعا وجعلهم سواء في حق التمتع بها حتى يرسخ مبدأ التعارف والتراحم (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه).

وقال تعالى: (يأيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا).

وكرامات الناس جميعا مصونة وحقوقهم محفوظة في ظل الإسلام، ورحمة الإسلام ولا يهدر دم إنسان أو مال إنسان إلا بحقه.

الجهاد

لم شرع الإسلام الجهاد؟

● قال تعالى: (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين)، فكان ضروريا أن يضم الإسلام إلى مبادئه السامية ومثله الكريمة العليا تشريع الجهاد حتى تبقى عزة المسلمين مصونة ورايتهم عالية وما كان الإسلام باغيا ولا عاديا وإنما كان عزيزا يأبى المهانة ويرفض الذل، كريما يستعصي على الخنوع والخضوع.

كلمة المسلمين

كيف نقوم الخارجين على الإسلام ومبادئه السامية؟

● إذا خرج البعض عن مبادئ الإسلام فلا يعني ذلك نقض لكل قيم الإسلام ونقاء الإسلام وحقيقة الإسلام، فإن الإنسان خلق مزودا بقوى واستعدادات يمكن ان توجهه نحو الخير كما يمكن ان تصرفه نحو الشر فليست ارادة الإنسان مجبولة على الخير المحض ولا مع الشر المحض، فكل انسان مسؤول عن إصلاح وتهذيب نفسه ويوجد بعض المسلمين لا يهتمون بمراعاة السنن ولا يحرصون على التمسك بالنصوص متابعين في ذلك آراءهم الخاصة مما كان له أكبر الأثر في تفريق كلمة المسلمين وهم لا يمثلون الإسلام، بل يمثلون تصرفاتهم وأفكارهم الخاصة، وهذا يستدعي تعاون جميع الجهات وفئات المجتمع المسلم، وإخلاص كل من الحاكمين والمحكومين ليسيروا نحو الهدف المنشود وهو التمسك بتعاليم الإسلام السمحة وابراز الدور المشرق الذي تلعبه الحضارة الإسلامية والمنهج الاسلامي من اجل رفعة الانسان، وكرامة الانسان دون تمييز او تفريق بين جنس وجنس او عرق وعرق.

وسيظهر لكل ناقد وكل ذي عقل ان الاسلام صورة مشرفة، وأن تعاليم الاسلام وحضارته اسمى وأرجح من كل تعاليم وثقافات عرفتها البشرية وتعاليم الإسلام ضرورة من ضرورات الحياة لا يستغني عنها الإنسان إلا اذا تجرد من انسانيته، وتجرد من قيمه وفضائله، قال تعالى: (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين).

آية وتفسير

د. وليد محمد الحمد

المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله

قال تعالى: (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) سورة البقرة: 14ـ15.

يقول السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره: هذا من قولهم بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، و[ذلك] أنهم إذا اجتمعوا بالمؤمنين، أظهروا أنهم على طريقتهم وأنهم معهم، فإذا خلوا إلى شياطينهم ـ أي: رؤسائهم وكبرائهم في الشر ـ قالوا: إنا معكم في الحقيقة، وإنما نحن مستهزءون بالمؤمنين بإظهارنا لهم، اننا على طريقتهم، فهذه حالهم الباطنة والظاهرة، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

قال تعالى: (الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون) وهذا جزاء لهم، على استهزائهم بعباده، فمن استهزائه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزائه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا، فإذا مشي المؤمنون بنورهم، طفئ نور المنافقين، وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم اليأس بعد الطمع، (ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم) الآية.

قوله: (ويمدهم) أي: يزيدهم (في طغيانهم) أي: فجورهم وكفرهم، (يعمهون) أي: حائرون مترددون، وهذا من استهزائه تعالى بهم.

ثم قال تعالى كاشفا عن حقيقة أحوالهم: أولئك، أي: المنافقون الموصوفون بتلك الصفات (الذين اشتروا الضلالة بالهدى) أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشتري بالسلعة، التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلعة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبذلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم.

وإذا كان من بذل (3) دنانير في مقابلة درهم خاسرا، فكيف من بذل جوهرة وأخذ عنها درهما؟ «فكيف من بذل الهدى في مقابلة الضلالة، واختار الشقاء على السعادة، ورغب في سافل الأمور عن عاليها؟» فما ربحت تجارته، بل خسر فيها أعظم خسارة. (قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين).

وقوله: (وما كانوا مهتدين) تحقيق لضلالهم، وأنهم لم يحصل لهم من الهداية شيء، فهذه أوصافهم القبيحة.

وسبب نزول هذه الآية عن ابن عباس: نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي وأصحابه، وذلك: أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبدالله بن أبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الاسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله، ثم أخذ بيد عمر رضي الله عنه فقال: مرحبا بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي كرم الله وجهه فقال: مرحبا بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله، ثم افترقوا. فقال عبدالله لاصحابه: كيف رأيتموني فعلت؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأثنوا عليه خيرا. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ، وأخبروه بذلك، فأنزل الله هذه الآية.

الدكتور: وليد محمد الحمد
أستاذ مشارك ـ قسم الدراسات الإسلامية
كلية التربية الأساسية

صور من معرفة النبي ﷺ بربه

كثرة الذكر

كان ﷺ كثير الذكر لربه سبحانه، يذكر الله قائما وقاعدا وعلى جنب، يذكر الله وهو مستشعر لمن يذكر، غفر له ما تقدم له من ذنبه ويقسم ويقول «والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة» رواه البخاري، اتعجبون.. فاسمعوا اذن الى ما اخرجه الامام مسلم في صحيحه عن الاغر المزني رضي الله ان النبي ﷺ قال: «انه ليغان على قلبي واني لاستغفر الله في اليوم اكثر من مائة مرة» ما معنى الحديث وما مراده ﷺ «انه ليغان على قلبي» يقول الامام ابن الاثير رحمه «ليغان على قلبي» اي ليغطي ويغشى والمراد السهو، لانه كان ﷺ لا يزال في مزيد من الذكر والقربة ودوام المراقبة فإذا سها عن شيء منها في بعض الاوقات او نسى، عده ذنبا على نفسه ففزع الى الاستغفار.

التفكر

ثم طرف آخر من معرفة النبي ﷺ لربه تفكره في آياته ومخلوقاته، اخرج البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بت عند خالتي ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع اهله ساعة ثم رقد فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السماء فقال (ان في خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) اثم قام فتوضأ واستن ثم صلى احدى عشرة ركعة ثم اذن بلال فصلى ركعتين ثم خرج فصلى بالناس الصبح.

قصة توبة

زيد بن سعنة حبر اليهود أسلم بسبب أخلاق الحبيب

روى الطبراني من حديث عبدالله بن سلام بسند رجاله ثقات أن حبر اليهود زيد بن سعنة قال: والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه النبي حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفهما فيه الأولى: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلما، قال: فانطلقت يوما فرأيت النبي ﷺ وقد أقبل عليه رجل يركب راحلته وهو يقول: يا رسول الله إن قومي من قرية كذا أو من بني فلان في قرية كذا كانوا قد دخلوا الإسلام، وكنت وعدتهم أنهم إن دخلوا الإسلام أن يأتيهم الرزق رغدا، وقد أصابتهم اليوم شدة، فأخشى أن يخرجوا من الإسلام طمعا كما دخلوا في الإسلام طمعا، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء من المال، لتغيثهم به فعلت، وجزاك الله خيرا. فالتفت النبي إلى علي بن أبي طالب الذي كان معه وكأنه يريد أن يسأل: هل عندنا من المال من شي؟ فالتفت علي إلى النبي وقال: «والله ما معنا من المال شيء»، يقول زيد بن سعنة: فأقبلت على محمد ﷺ وقلت: يا محمد هل تبيعني تمرا في حائط بني فلان إلى أجل معلوم؟ أراد أن يعطيه مالا إلى أجل معلوم فقال النبي ﷺ: «نعم، لكن لا تسمى حائط بني فلان» فقال زيد بن سعنة: قبلت، قال: فأعطيت النبي ﷺ ثمانين مثقالا من ذهب، فدفعها كلها إلى الرجل وقال: «أغث بهذا المال قومك» ومن المعلوم أن محمدا ﷺ كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، فانطلق الرجل بالمال كله، يقول زيد: وقبل أن يحل وقت السداد رأيت محمدا في نفر من أصحابه، يجلس إلى جوار جدار، بعد أن صلى على جنازة رجل من الأنصار، فأقبلت عليه، وأخذته من مجامع ثوبه، وقلت له: أد ما عليك من دين يا محمد فوالله ما علمتكم يا بني عبدالمطلب إلا مطلا في سداد الديون فانتفض عمر والتفت إلى هذا الحبر اليهودي ـ وهو لا يعرفه ـ وقال: «يا عدو الله تقول لرسول الله ما أسمع، وتفعل برسول الله ما أرى، والله لولا أنني أحذر غضبه ﷺ لضربت رأسك بسيفي هذا» وزيد بن سعنة يراقب وجه النبي ﷺ وكلماته، ويريد أن يسمع ماذا سيقول رسول الله ﷺ في هذا الموقف الرهيب العصيب، فالتفت النبي ﷺ إلى عمر وقال: «لا يا عمر لقد كان من الواجب عليك أن تأمرني بحسن الأداء وأن تأمره بحسن الطلب» ثم قال: يا عمر «خذه وأعطه حقه، وزده عشرين صاعا من تمر جزاء ما روعته» يقول زيد: فأخذني عمر فأعطاني حقي، وزادني عشرين صاعا من التمر. فقلت له: ما هذه الزيادة؟ قال: أمرني رسول الله أن أزيدكها جزاء ما روعتك. فقال زيد بن سعنة: ألا تعرفني يا عمر؟ قال: لا، قال: أنا زيد بن سعنة قال عمر: حبر اليهود؟ قال: نعم. قال عمر: فما الذي حملك على أن تفعل برسول الله ما فعلت؟ قال زيد: يا عمر والله ما من شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أعرفهما فيه: الأولى: يسبق حلمه جهله، والثانية: لا تزيده شده الجهل عليه إلا حلما، أما وقد عرفتهما اليوم فإني أشهدك أني قد رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا ورسولا، وعاد حبر اليهود مع عمر بن الخطاب إلى المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله، وشهد مع رسول الله بعد ذلك كل المشاهد والغزوات، وتوفي في غزوة تبوك مقبلا غير مدبر، رضي الله وأرضاه. أيها المسلمون أيها الأحبة الكرام ألم أقل: إن الإحسان إلى الناس يحول البغض في القلوب إلى حب؟ فليت الأمة تعي هذا الدرس بحكامها، وعلمائها، ورجالها، وشبابها، ونسائها. وليت الأمة تعود إلى سيرة النبي ﷺ، لتحول هذه السيرة العطرة والأخلاق الزاكية في حياتها إلى واقع عملي، وإلى منهج حياة فوالله ما تعلقت القلوب برسول الله ﷺ إلا لهذه الأخلاق السامية.

الزهد في حياة النبي ﷺ

كان نبينا ﷺ أزهد الناس في الدنيا وأقلهم رغبة فيها، مكتفيا منها بالبلاغ، راضيا فيها بحياة الشظف، ممتثلا لقول ربه عز وجل (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى)، مع ان الدنيا كانت بين يديه، ومع انه اكرم الخلق على الله، ولو شاء لأجرى الله له الجبال ذهبا وفضة، وقد ذكر الإمام ابن كثير في تفسيره عن خيثمة انه قيل للنبي ﷺ: ان شئت ان نعطيك خزائن الأرض ومفاتيحها ما لم نعطه نبيا قبلك، ولا نعطي احدا من بعدك ولا ينقص ذلك مما لك عند الله، فقال: اجمعوها لي في الآخرة، فانزل الله عز وجل في ذلك: (تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) وخير ﷺ بين ان يكون ملكا نبيا او عبدا رسولا، فاختار ان يكون عبدا رسولا. واما حياته ﷺ ومعيشته فعجب من العجب، يقول أبوذر رضي الله عنه: كنت امشي مع النبي ﷺ في حرة المدينة، فاستقبلنا أحد، فقال «يا أبا ذر: قلت: لبيك يا رسول الله، قال: ما يسرني ان عندي مثل احد هذا ذهبا، تمضي علي ثالثة وعندي منه دينار، الا شيئا ارصده لدين، إلا ان اقول به في عباد الله هكذا، وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه ثم قال: ان الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ما هم». وكان من دعائه ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا - وفي رواية - كفافا». ودخل عليه عمر رضي الله عنه يوما فاذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، وقد أثر في جنبه، قال عمر: فرفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر فقلت: ادع الله فليوسع على امتك، فان فارس والروم وسع عليهم. وكان يقول: «ما لي وللدنيا، ما انا في الدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» وكان فراشه ﷺ من الجلد وحشوه من الليف، واما طعامه فقد كان يمر عليه الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة، وما توقد في بيوت رسول الله ﷺ نار، وانما هما الاسودان التمر والماء، وربما ظل يومه يلتوي من شدة الجوع وما يجد من الدقل - وهو رديء التمر - ما يملأ به بطنه، وما شبع ﷺ ثلاثة أيام تباعا من خبز بر حتى قبض، ولم يأكل ﷺ على خوان - وهو ما يوضع عليه الطعام - حتى مات.

ولم يترك ﷺ عند موته درهما ولا دينارا ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا الا بغلته البيضاء وسلاحه وارضا جعلها صدقة، قالت عائشة رضي الله عنها: «لقد توفي النبي ﷺ وما في بيتي من شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال عليّ فَكِلتُه ففني».

● بقلم: علي خليفة